تشو الصّينيُّ الصَّغير

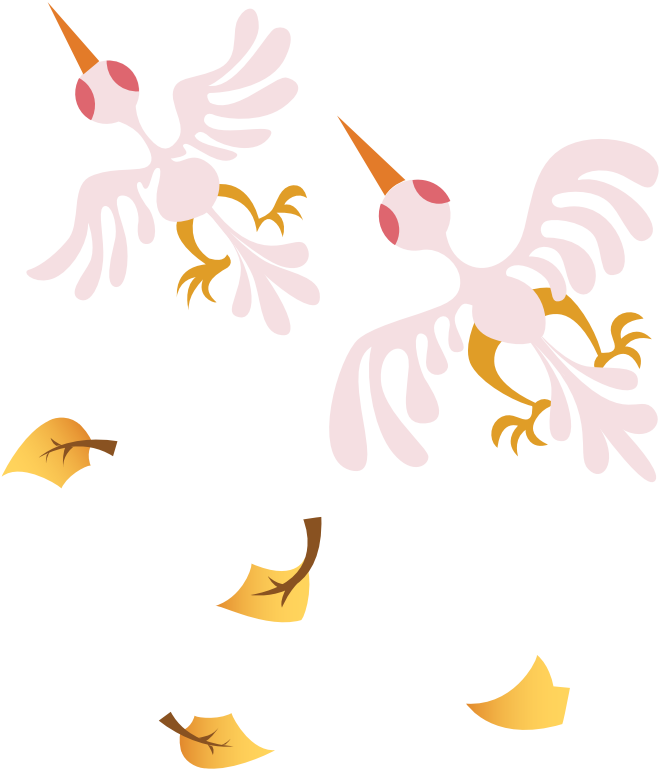

تأليف: هلا كيلى
رسم: سرين متّى

قَبْلَ مِئاتِ السِّنين... في الصّينِ العَظيمَةِ، في كوخٍ بَيْنَ الأَكْواخِ الصَّغيرَةِ التي تُطِلُّ على ضِفَّةِ النَّهْرِ الكَبيرِ، كانَ يَعيشُ صَبِيٌّ صَغيرٌ يُدْعى تشو مع عائِلَتِهِ بِسَعادَةٍ ووِئامٍ. كُلَّ صَباحٍ كان تشو يَذْهَبُ لِيَزْرَعَ الشَّعيرَ والذُّرَةَ البَيْضاءَ بِجِدٍّ ونَشاطٍ. كانَ يَحْصَلُ على القَليلِ من المَصْروفِ والقوتِ، لأَنَّ صاحِبَ الأَرْضِ كان يَأْخُذُ المَحْصولَ بِكامِلِهِ ثُمَّ يُوَزِّعُ على مُزارِعيهِ حُصَصاً قَليلَةً بِالكادِ تَكْفيهِمْ. لَكِنَّ تشو كانَ صَبِيًّا مُقْتَنِعاً بِأَنَّ ما يَحْصُلُ عليه هو كافٍ له ولِعائِلَتِه.

وبِالرَّغْمِ من فَقْرِ الحالِ، كانتِ السَّعادَةُ والمَحَبَّةُ تَغْمُران بُيوتَ المُزارِعينَ، ومن بَيْنِهِمْ عائِلَةُ تشو. كانَ أَفْرادُ العائِلَةِ يَجْتَمِعون كُلَّ لَيْلَةٍ لِيَتَسامَروا مع بَعْضِهِم، ويَتَبادَلوا أَخْبارَهُمْ اليَوْمِيَّةَ. وقُبَيْلَ انْتِهاءِ السَّهْرَةِ تَبْدَأُ الجَدَّةُ بِرِوايَةِ قِصَصِها المَشْهورَةِ. وكانَتْ قِصَّةُ التِّنّينِ الخَياليَّةُ والمُشَوِّقَةُ هي المُفَضَّلَةُ لَدى تشو.

كانَ تشو يَقْضي مُعْظَمَ أَوْقاتِ فَراغِهِ مع كَلْبِهِ الوَفِيِّ بِالْقُرْبِ من ضِفَّةِ النَّهْرِ، حَيْثُ يَقْطُنُ التِّنّينُ، كما رَوَتْ لَهُ جَدَّتُهُ الحَبيبَةُ، راجِياً أَنْ يَظْهَرَ له ذَلك الكائِنُ الضَّخْمُ ويتَعَرَّفَ إِلَيْهِ أَكْثَرَ.

في أَحَدِ الأيّامِ، وبَيْنَما كان تشو يَرْشُقُ النَّهْرَ بِالحِجارَةِ، إذا بِهِ يَسْمَعُ صَوْتاً قَوِيًّا قائِلاً: «تَوَقَّفْ عن رَشْقِ الحِجارَةِ يا تشو!». سَأَلَ تشو مُرْتَعِباً: «مَنْ أَنْتَ؟» أَجابَ صَوْتٌ جَهْوَرِيٌّ صادِرٌ من النَّهْرِ: «هذا أنا التِّنّينُ!».

ما هي إلّا بُرْهَةٌ حَتّى رَأَى تشو أَمْواجاً تَعْلو وتَرْتَفِعُ وظَهَرَ مِنْها التِّنّينُ الضَّخْمُ. ارْتَعَبَ تشو وأرادَ الرَّكْضَ والفِرارَ؛ لكِنَّ التِّنّينَ تَقَدَّمَ نَحْوَهُ ولَهَبُ النّارِ تَتَطايَرُ من فَمِهِ. صَرَخَ التِّنّينُ قائِلاً: «أنا لا أُؤْذي أَحَداً يا تشو بَلْ أُحِبُّ النّاسَ اللُّطَفاءَ كما رَوَتْ لك جَدَّتُك في القِصَّةِ!». بعدَما سَمِعَ تشو ما قالَهُ التِّنّينُ اقتَرَبَ مِنه بِحَذَرٍ وتَحَدَّثَ مَعَهُ.

أَصْبَحَ تشو يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ ويُقابِلُ صَديقَهُ التِّنّينَ ويَتَحَدَّثُ معه في مَواضيعَ كَثيرَةٍ ومُتَنَوِّعَةٍ، حتّى صارا صَديقَيْنِ مُخْلِصَيْنِ.

بما أَنَّ تشو حِرْفِيٌّ ماهِرٌ، صَنَعَ مُجَسَّماتٍ مُصَغَّرةً لِلتِّنّينِ من الخَشَبِ، وذلك تَعْبيراً عن صَداقَتِهِ المَتينَةِ بِهِ. قَدَّمَ تشو الكَثيرَ مِنْها هَدايا لأَصْدِقائِهِ وأَحِبّائِهِ. وكانَ كُلَّ مَرَّةٍ يُخْبِرُهُمْ عن التِّنّينِ وعن صَداقَتِهِ له. ولكنْ لم يَكُنْ أَحدٌ يُصَدِّقُهُ. حتّى جَدَّتُهُ أَوْضَحَتْ له بأَنَّ قِصَّةَ التِّنّينِ لَيْسَتْ سِوى خَيالٍ وهي لا تَمُتُّ لِلواقِعِ بِصِلَةٍ.

جاءَتِ الأَيّامُ وحَلَّ فَصْلُ الخَريفِ، وبَدَأَتْ أَوْراقُ الأَشْجارِ تَصْفَرُّ، والعَصافيرُ تُهاجِرُ. انتَظَرَ النّاسُ الغُيومَ الرَّماديَّةَ التي تَحْمِلُ المَطَرَ، ولَكِنَّها لَم تأتِ. بَدا على المُزارِعينَ الحُزْنُ والتَّعَبُ بَعْدَ أَنْ جَفَّ مُسْتَنْقَعُ الأَرُزِ ويَبِسَ الزَّرْعُ. ضَرَبَ الجوعُ والظَّمَأُ جَميعَ سُكّانِ ضِفَّةِ النَّهْرِ.

ذَهَبَ تشو إلى صَديقِهِ التِّنّين وشَكا له حالَهُ وحالَ قَرْيَتِهِ وما أَصابَهُمْ.
حَزِنَ التِّنّينُ ذو القَلْبِ الطَّيِّبِ وصَمَّمَ على مُساعَدَتِهِمْ. حَلَّقَ التِّنّينُ إلى السَّماءِ باحِثاً عن سَحابَةٍ سَوْداءَ حتّى وَجَدَ واحِدَةً بَعيدَةً فَاقْتَرَبَ مِنْها. بَدَأَ يَقْذِفُ بِلَهَبِ النّارِ نَحْوَ السَّحابَةِ، دافِعاً إيّاها باتِّجاهِ ضِفَّةِ النَّهْرِ.

نَظَرَ المُزارعونَ بِذُهولٍ نَحْوَ السَّماءِ. ولَمّا رآهُ تشو هَتَفَ عالِياً: «إنَّهُ صَديقي التِّنّينُ!».
وما هي إلّا لَحَظاتٌ حتّى بَدَأَ المَطَرُ يَهْطُلُ بِغَزارَةٍ وامْتَلأَ مُسْتَنْقَعُ الأَرُزِّ والبِرَكُ وعادَتِ المِياهُ إلى مَجاريها. كانَتْ فَرْحَةُ المُزارِعينَ لا توصَفُ، فأَرادوا مُكافَأَةَ التِّنّينِ على فِعْلِهِ الحَسَنِ بِطَريقَةٍ ما.
بَعْدَ أَنْ أَعْطى المَوْسِمُ الزِّراعِيُّ مَحْصولاً، اتَّجَه المزارعون إلى النَّهْرِ وقَدَّموا للتِّنّينِ أَجْمَلَ الباقاتِ من زُهورِ فَصْلِ الرَّبيعِ. اعْتَذَروا مِنْ تشو لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقوهُ عِنْدَما كانَ يُخْبِرُهُمْ عَنْ صَديقِهِ التِّنّينِ فَقَبِلَ تشو اعْتِذارَهُمْ بِرَحابَةِ صَدْرٍ.

أمّا تشو فَقد فَكَّر بِطَريقَتِهِ الخاصَّةِ لِيَشْكُرَ صَديقَهُ التِّنّينَ، فَحاكَ لِنَفْسِهِ ثَوْباً من القِماشِ بِزِيِّ التِّنّينِ، وارْتَداهُ في الاحْتِفالِ. وبَدَأَ يرْقُصُ بِهِ رَقْصَةَ التِّنّينِ على إيقاعاتِ الموسيقى الصّينِيَّةِ، فَصَفَّقَ لَهُ جَميعُ سُكّانِ ضِفَّةِ النَّهْرِ لِمُبادَرَتِهِ الرّائِعَةِ.

وبَعْدَها لم يَظْهَرِ التِّنّينُ ثانِيَةً...

ومُنْذُ ذلِكَ الحينِ أَصْبَحَ رَسْمُ التِّنّينِ على القِماشِ رَمْزاً اتَّخَذَهُ الصّينيّونَ أَثْناءَ قِيامِهِمْ باحْتِفالاتِهِمْ السَّنويَّةِ في فَصْلِ الرَّبيعِ، وهي تَقاليدُ لا تَزالُ تُمارَسُ حتّى يَوْمِنا هذا.

عدنان العربي
وسفينة الصحراء
تأليف: هلا كيلي
رسم: سرين متّى

آمون
الفرعوني الصغير
تأليف: هلا كيلي
رسم: سرين متّى

الملك كارن الشجاع
تأليف: هلا كيلي
رسم: سرين متّى

رشو
الصيني الصغير
تأليف: هلا كيلي
رسم: سرين متّى